

ظاهرة

إستقدام السائقين والخدم
وخطرها على الأسرة والمجتمع

بقلم

عبد الله بن صالح الفصير

عضو لائحة الدعوة الإسلامية بالشعبة العامة لإدارات الجموع العلمية والأضلاع والدعوة بالرشيد

إدارة الدعوة في الداخل

١٤٠٣ هـ

ظاهرة

استقدام السائقين والخدم
وخطرهما على الأسرة والمجتمع

بقلم

عبد الله بن صالح القصير

مدير مركز الدعوة والإرشاد بالرياض
الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الطبعة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد فإن من الظواهر الخطيرة والفتن الكبيرة التي ظهر خطرها وعظم ضررها ما ابتلى به بعض الناس في هذا الزمن من استقدام الأجانب لهذه البلاد من المسلمين وغيرهم لغرض الخدمة في البيوت وقيادة السيارات وغيرها، ومصدر الخطر في ذلك كونهم لا يتقيدون عند الاستقدام ولا في المعاملة بعده بالضوابط الشرعية التي تكفل لهم بإذن الله السلامة من كل ما يضرهم في دينهم ودنياهم وأخراهم فمن أخطأ الناس في ذلك أن منهم من يفضل الكافر من أى ملة على المسلم ومنهم من يختار الشاب الوسيم الأعزب من الجنسين على من سواه وعندما يحضرونهم إلى هذا البلد ويدخلونهم منازلهم يتركونهم وشأنهم مع أهل البيت من حيث الاختلاط والخلوة وغيرها ويفوضون لهم الأمر في تربية الاطفال وغيرها من شئون البيت دون أمر أو نهى أو مراجعة أو محاسبة ناسين أو متجاهلين ما لذلك كله من خطر على العقائد والأخلاق والاعراض والشرف والأمن من جميع جوانبه في الحاضر والمستقبل لذلك لزم النصيحة ووجب البيان محافظة على الدين ونصيحة للمسلمين وإقامة للحجة وطلباً للمعذرة لأن ذلك منكراً ظهر وأقر وفشى وانتشر وقد أمر الله بالنصيحة وأوجب على العباد القبول للحق ممن جاء به . قال تعالى : «والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»^(١) وقال جل ذكره «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»^(٢) كما بين سبحانه أن شأن المؤمنين السمع والطاعة لدعوة الحق والانتفاع بالذكرى حيث يقول سبحانه «إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله يخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون»^(٣) ويقول سبحانه «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين»^(٤) ويقول أيضا «فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى. الذى يصلى النار الكبرى. ثم لا يموت فيها ولا يحيى»^(٥) وصح عن النبي ﷺ أنه قال: الدين النصيحة - ثلاثاً - قيل لمن يارسول الله؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٦) وفى الصحيح عنه أيضا أنه قال : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف إيمان»^(٧) وفى رواية وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»^(٨) كما بين سبحانه فى كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ أن السكوت على المنكر يورث اللعن وعموم العقاب وشدة العذاب كما قال سبحانه فى قصص بني إسرائيل «لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتلون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون»^(٩) وقوله «فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين»^(١٠) وأخبر النبي ﷺ أن

(١) سورة العصر من آية رقم ١ - ٣

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٠٤

(٣) سورة النور آية رقم ٥١ - ٥٢

(٤) سورة الذاريات آية رقم ٥٥

(٥) سورة الأعلى آية رقم ٩ - ١٣

(٦) رواه مسلم وغيره

(٧) رواه مسلم وغيره

(٨) رواه مسلم من حديث ابن مسعود

(٩) الأيتان ٧٨، ٧٩ المائدة

(١٠) الآية ١٦٦ الاعراف

الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه^(١) والآن وقد حان الشروع في بيان المقصود فأقول مستعيناً بالله مستمداً منه التوفيق للحق والسداد في الأمر .

أولاً : لا ضرورة فعلية لهؤلاء الخدم لدى كثير من الناس :
فإنك إذا تدبرت واقع كثير من الذين ابتلوا بالخدم ظهر لك أن الدافع لذلك ليس هو الحاجة الملحة والضرورة الملجئة وإنما الدافع الحقيقي للاستقدام والاستخدام هو الرغبة في التنافس والمباراة وحب التقليد والمجازاة والإحساس بالنقص عن الآخرين حتى حصل من بعض الأسر أنهم يخجلون من حضور بعض المناسبات حيث أنهم ليس لديهم خادمة أو سائق أو هما معا وعند الضرورة قد يستعينون بجيرانهم لستر حالهم فيستعيرون منهم الخادمة أو السائق حيث أن وجود الخدم في البيوت أو تعددهم أصبح في عرف كثير من هؤلاء ضرورة من ضروريات الحياة وسمة بارزة تدل على التقدم والمدنية ولعل العكس هو الصحيح وإن مما يدل على بطلان دعوى الحاجة إلى الخدم ويؤكد أنها مرض اجتماعي خطير من أمراض الترف ما يلي:

- (١) أن بيوت الناس ومنازلهم اليوم أحسن حالا من الزمن السابق - بل ولا نسبة - من حيث التصميم والنظام والنظافة وسهولة الصيانة وتوفير الأجهزة المختلفة المعينة على ذلك والتي توفر الجهد والوقت.
- (٢) أن ظاهرة الحاجة إلى الخدم ونحوهم لم تقتصر على المدن الكبيرة أو أسر معينة لها ظروف خاصة بل تعدت ذلك إلى القرى والهجر التي لم تكتمل فيها الخدمات الضرورية وإلى أسر فقيرة ومحدودة العدد والدخل.

(١) رواه الأمام أحمد وغيره قال النووي : رواه أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة . هـ

(٣) أن كثيراً من الأعمال التي عادةً يقوم بها أهل البيت من الطهي والتغسيل والخياطة ونحوها توفرت لها الآلة الحديثة الموفرة للجهد والوقت كما سبق أن أشرنا إليه ومن جهة ثانية فقد اعتمد الناس فيها - خصوصاً في المناسبات - على جهات خارج البيت من غسال وطباخ وخياط رغم ما في ذلك من السلبات الكثيرة .

(٤) رغم هذا كله واعتماد أهل البيت فيما بقى من مسؤولياته على الخدم لم يظهر لهذا التفرغ أثر يذكر لا في عبادة ولا في دراسة ولا في إنتاج مهني محلي أو أي مشاركة بناءة في خدمة المجتمع من هؤلاء الذين ابتلوا بالخدم إلا نادراً.

(٥) بل إن هذا التفرغ سبب مشاكل عديدة وفتح أبواب شر كثيرة لا حصر لها منها:

أ) تعودّ كثير من الناس على حياة الترف وما لها من آثار من كسل وخمول ودعة ولا يخفى ما لذلك من أضرار خصوصاً على الناحية الذهنية والصحية.

ب) حرمان الجيل الجديد من ذكور وإناث من التعلم بمدرسة البيت والتدريب في ميادينته المختلفة على سائر الوظائف العائلية التي سيلتزمون أو يلزمون بها مستقبلاً عند الاستقلال وتأسيس البيوت والأسر الجديدة. حيث افتقد الكثير منهم الجد والحزم حتى في أموره الخاصة ولم يتقنوا واجباتهم الحتمية وربما كان ذلك كله من أسباب العزوف عن الزواج أو فشله بعد حصوله.

ج) الانشغال بغير المفيد أو المطالبة بغير النافع بل بالضرار ومن ذلك تضييع الأوقات الكثيرة والشمينة في قراءة الموضوعات أو مشاهدة الأفلام التي تقتل الغرائز الخيرة وتهدم النواحي الإنسانية فيهم، وكذلك أخذوا يطالبون أو يُطالب باسمهم - على الصحيح - بفتح حدائق ونسود ومسارح ومنتزهات حتى للنساء رغم فشل

هذه الأمور في تحقيق الكثير من أهدافها بالنسبة للرجال والشباب بل وأدت إلى نتائج عكسية لا ينكرها إلا مكابر أو معاند.

وبهذا يتبين أن دعوى الحاجة الضرورية من كثير من الناس إلى الخدم هي دعوى غير صحيحة بل ربما تكون من وحي الشياطين ودسائس الأعداء الطامعين حيث لا نسبة تذكر بين إيجابياتها وسلبياتها بل إن إيجابياتها لا تكاد تذكر عند سلبياتها إذ المستفيد منها من كل جهة هو العدو المترص أو من في حكمه خصوصاً إذا علمنا ما أثبتته الدراسات والتقارير المتخصصة من أن نسبة السائقين والخدم ونحوهم تصل إلى حوالى ثلث مجموع العمالة الآسيوية المتواجدة في منطقة الخليج^(١) وهى تقدر بالملايين وهنا يتبين أنه ربما يكون من مقاصد ذلك إغراق المنطقة بجنسيات وعقائد وأفكار واتجاهات مختلفة ومتباينة بأي شكل ووسيلة وتحت أي شعار- ومعروف ما يتوقع أن يترتب على وجود هذا العدد الهائل والجيش الرهيب من أخطار على المجتمع من نواحيه الدينية والفكرية والخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها مما لا يمكن حصره وقد لا يمكن دفعه وتلافيه فيما بعد والله المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثانياً : خطر استخدام الكفار على العقيدة :

وذلك أن اختيار الكافر عند الاستقدام وتفضيله على المسلم وإدخاله بلاد المسلمين - خاصة الجزيرة العربية دون أمر مهم تقتضي الضرورة الشرعية استقدامه من أجله أمر خطير ومنكر كبير لما يترتب على ذلك من مجالسة ومؤانسة ومؤكلة ومشاركة واطمئنان إليه وثقة به وذلك يفضي إلى موالاة الكافر ومحبة ومعلوم أن موالاته ومحبه من أعظم الكبائر ومن أسباب التولي المحرم شرعاً والمتوعد عليه بعظيم العقوبة وسيء المصير في الدنيا والآخرة

(١) عن مجلة العربي العدد ٢٨٠ ص ١٦ .

فإن الله تبارك وتعالى قد حذرنا من موالاة الكفار ونهانا عنها وزجرنا عنها بأساليب كثيرة ومناسبات مختلفة .

أ (تارة ببيان فساد معتقدهم وضلالهم في دينهم كقوله سبحانه «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق»^(١) وبين شيئا من هذا الكفر والضلal في مواطن أخرى كقوله «وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله»^(٢) وقال عن المشركين «قالوا اتخذ الله ولدا»^(٣) وقال «ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون»^(٤) وقال «وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء»^(٥) وقال «لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء»^(٦) وأخبر عنهم أنهم مع ذلك يدعون القرب من الله والمحبة لله حيث يقول «وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وإحباؤه»^(٧) وقوله «وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيتهم»^(٨) وأخبر سبحانه عن الدهرية من شيوعين وغيرهم أنهم يقولون «ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر»^(٩) وقالوا «أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون . إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين»^(١٠) .

ب (تارة ببيان تناصرهم فيما بينهم واتحادهم ضد المسلمين كقوله سبحانه «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض»^(١١) وقال جل ذكره «والذين كفروا بعضهم أولياء بعض»^(١٢) .

- | | |
|-----------------------------|-------------------------------------|
| (١) الآية ١ سورة الممتحنة . | (٧) الآية ١٨ المائدة . |
| (٢) الآية ٣٠ سورة التوبة . | (٨) الآية ١١١ البقرة . |
| (٣) الآية ٦٨ سورة يونس . | (٩) الآية ٢٤ الجاثية . |
| (٤) الآية ٥٧ سورة النحل . | (١٠) الآيات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ المؤمنون . |
| (٥) الآية ٦٤ سورة المائدة . | (١١) الآية ٥١ المائدة . |
| (٦) الآية ١٨١ آل عمران . | (١٢) الآية ٧٣ الانفال . |

(ج) وتارة ببيان عظيم حقدهم وشديد حسدهم وعداوتهم للمسلمين كقوله «ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم»^(١) وقوله «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر»^(٢) وقوله «إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبيناً»^(٣) وتارة يذكر عظيم كيدهم وسعيهم على إضلال المسلمين وصددهم عن الهدى كقوله «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم»^(٤) وقوله «ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء»^(٥) وقوله «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصلوا عن سبيل الله»^(٦) وقوله «ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا»^(٧) إلى غير ذلك، فهي سبحانه في هذه الآيات وأمثالها عن تولى الكفار من أى ملة سواء كانوا منتسبين إلى دين سماوي كاليهود والنصارى أو غير منتسبين إلى دين سماوي كالمشركين والوثنيين وسائر الدهريين فالكفر ملة واحدة وإن تجددت صوره وتغيرت أشكاله وتعددت مذاهبه وتفننت دعاياته ووسائله وهم رغم ما بينهم من خلاف وفرقة متحدون ضد المسلمين ومجمعون على عداوتهم في كل عصر ومصر ولا ينفكون عن الكيد للمسلمين بكل ما أوتوا من كيد وحنكة وعلم وقوة ومكر وحيلة ليردوا المسلمين عن دينهم إن استطاعوا أو لينهبوا خيرات بلادهم وثروات أوطانهم أو ليحرقوا ضلالهم وباطلهم ويحولوا بين شعوبهم وبين هداية الإسلام ونوره «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. هو الذى أرسل رسوله

(٥) الآية ٨٩ النساء .

(٧) الآية ٢١٧ البقرة .

(١) الآية ١٠٥ البقرة .

(٢) الآية ١١٨ آل عمران .

(٣) الآية ١٠١ النساء .

(٤) الآية ١٢٠ البقرة .

(٦) رصدت إحدى الكنائس الكبرى في ألمانيا الغربية عام ١٩٧٩ ميزانية هائلة بلغت مائة وستين ألف مليار مارك لغرض دعم المبشرين «دعاة التنصير» في الخليج ودول شرق آسيا. الآية ٣٦ الأنفال.

بألهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»^(١) والواقع التاريخي يشهد بصدق هذه الآيات وحقيقة الموقف بين المسلمين وخصوم الإسلام فكم من معركة خاضوها وحرب ضروس أداروها وكيد مختلف النوع واللون دبروه وخططوا له ابتداء بمؤامراتهم المتكررة لمحاولة اغتيال النبي ﷺ بمكة والمدينة إلى مواقفهم إبان الهجرة ويوم بدر وأحد ومواقفهم يوم الأحزاب وقريظة والنظير حيث تحالف مشركوا العرب مع اليهود والمنافقين داخل المدينة ومواقف المنافقين كذلك ومؤامراتهم المتكررة داخل المجتمع المسلم كما في قصة تبوك والإفك ومسجد الضرار وغيرها ومروراً بالحروب الصليبية وما سبقها ولحقها من حروب طاحنة وملاحم عظيمة وأيام عصيبة وانتهاء بما نشاهده اليوم ونسمع به من تكالب الكفرة من مختلف الملل على المسلمين في كل وطن وبأدنى مناسبة يبذلون الجموع ويتهكون الحرمات ويصادرون الحريات يقتلون ويشردون بأيديهم حيناً، وحيناً يوكلون به من يقوم به عنهم كما يريدون أو أخطر مما يفعلون ممن يدعي الإسلام ويتنسب إليه وهو في الحقيقة عدو له متربص بأهله منفذ لخطط أعداءه مستميت في سبيل ذلك ولا غرابة في ذلك فقد صنع على أعينهم وترى في أحضانهم ورضع لبنهم الخبيثة وبالجملة فالشر شر أعداء الإسلام والكيد كيدهم والمكر مكرهم «وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال»^(٢) «وقد مكر الذين من قبلهم فله المكر جميعاً يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبي الدار»^(٣) إذا فهم ما سبق فاعلم أيها الأخ المسلم أن ما وقع فيه كثير من الناس من جلب الكفار من شتى الأوطان والملل لاستخدامهم وغيره من أعظم المنكرات وأخطر التصرفات لأن جلبهم إلى الجزيرة العربية معصية صريحة واضحة وبينه للنبي ﷺ لما روته عائشة رضي الله

(١) آياتان ٣٢، ٣٣ التوبة . (٣) الآية ٤٢ الرعد .

(٢) الآية ٤٦ إبراهيم .

عنها أنه كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال : « لا يترك بجزيرة العرب دينان ^(١) » بل كان من آخر وصايا النبي ﷺ ما ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه ﷺ قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ^(٢) ، وكذلك أخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه اليهود من خيبر ، وهم كانوا يعملون في مزارع المسلمين - تنفيذاً لهذه الوصية ولما يقضي إليه استقدامهم واستخدامهم من محبتهم ومولاتهم المنهى عنهما في القرآن الكريم والسنة وقد ذكر المحققون من أهل العلم ومنهم أئمة الدعوة في نجد في كتبهم ورسائلهم أموراً كثيرة يصدق على من تلبس بواحد منها أنه قد فعل شيئاً من مولات الكفار فضلاً عن إجتماعها فيه ومن هذه الأمور التي ذكروها تقريب الكفار في الجلوس ، ومشاورتهم في الأمور ، واستعمالهم في أمور المسلمين من أمانة أو عمالة أو كتابة أو غيرها ، والبشاشة في وجوهمهم - دون ضرورة - ومصاحبتهم ومعاشرتهم واستئمانهم وقد خونهم الله تعالى ، ولكل واحدة من هذه الأمور سندها من الكتاب والسنة أو أحدهما وأنت ترى أن هذه الأمور أو بعضها تحصل من يستخدم الكفار لما سذكركه لك فيما يلي :

(١) أن استخدامهم وسيلة للاحتكاك والاختلاط ^(٣) وذلك يورث مودتهم وإلفهم والأنس بهم وهذا يناقض ملة إبراهيم ومحمد عليهما وعلى سائر الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة والسلام فإن ملة إبراهيم هي البراءة من الكفار والبغض لهم وإعلان العداوة عليهم إلى أن يؤمنوا بالله وحده «قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده» ^(٤) وملة محمد ﷺ كذلك كما قال تعالى «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم» ^(٥) وقال تعالى «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون. ولا

(١) رواه الامام أحمد . (٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) الآية ٤ الممتحنة . (٤) الآية ٢٩ الفتح .

أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين»^(١) ففي ذلك البراءة من الكفر والكافرين وبيان فساد معتقدتهم وضلالهم في تصرفهم وسفاهة أحلامهم إذ عبدوا مع الله غيره فما قدروا الله حق قدره وما استجابوا لدعوة رسوله ولذلك أعلن المفاصلة التامة والقطيعة الأبدية بينهم وبين المسلمين «لكم دينكم ولي دين» وذلك لا يعنى الرضا بما هم عليه من باطل وإنما يعنى الافتخار بدين الحق وإعلان الالتزام به صراحة وإعلان البراءة والعداوة على كل من لم يلتزم به من قريب أو بعيد وذلك فى حال تفرد المسلم وضعف المسلمين أما فى حال الاجتماع والقوة فيضاف إلى ذلك إعلان الحرب عليه ومقاتلتهم بكل ما يستطيع كما قال تعالى يأياها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم»^(٢) وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة»^(٣) وقوم أمرنا أن نعاملهم هذه المعاملة كيف يليق بنا أن ندخلهم بيوتنا ونؤاكلهم ونشاربهم ونأمنهم فى البيوت وغيرها وهم الأعداء، لا شك أن هذا أمر لا يقره عاقل فضلاً عن أن يرضى به أو يفعله مسلم غيور على دينه وقومه والله المستعان.

(٢) كما يترتب على مخالطتهم ودوام معاشرتهم والارتياح لخدمتهم إقرارهم والرضا بما هم عليه من منكر الكفر وما دونه وذلك يعنى إقرار المنكر وعدم تغييره وإظهار شيء من الموافقة لهم على ما هم عليه من الباطل وذلك يخالف عقيدة المسلمين فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحب والبغض فى الله ولله كيف يرضى مسلم صحيح العقيدة بمجالسة ومعاشرة من ينتقص ربه ويستزىء بدينه ويعلم الشرك والكفر فى بيته لا يقر ذلك ولا يرضى به إلا من ليس عنده أدنى مثقال ذرة من إيمان ولذلك روى عن النبي ﷺ من جامع المشرك - أي اجتمع معه وسكن معه فإنه مثله^(٤) وقال ﷺ أنا برئ من مسلم يقيم بين

(١) سورة الكافرون من ١ الى ٦ .

(٣) الآية ١٢٣ التوبة .

(٤) رواه ابو داود .

(٢) الآية ٧٣ التوبة .

ظهرانى المشركين^(١) وهذا كما يصدق على من أقام فى بلاد الكفار ولم يظهر دينه ولم يهاجر إلى بلد الإسلام فإنه يصدق على من جعل المشرك والمشركين من النصارى والوثنيين يقيمون معه فى بيته يأكلون معه ويشربون ويتصبح بهم ويتمسوا بهم على ما هم عليه من ضلال وباطل وفى الأثر : من جالس صاحب بدعة فقد مشى فى هدم الإسلام .

(٣) فى استخدام الكافر طمأنينة إليه وثقة به وكيف يكون ذلك والله تعالى يقول عنهم «كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون»^(٢) ويقول «إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً ويسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفروا»^(٣) فالثقة بالكافر والطمأنينة إليه التى وصلت ببعض الناس إلى حد توليته لشئون النساء وتربية الأطفال وحفظ الأموال والثناء عليه فى كل مناسبة كل ذلك مناقضة للقرآن المبين ومعاذة لرب العالمين قد يقع الإنسان فى شؤمها فى لحظة أو أخرى فى دينه أو نفسه أو محارمه أو ماله ولذلك لما علم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن لدى أحد عماله كاتباً نصرانياً انتهره وتلى عليه قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين» ويروى عنه أنه قال له: لا تدنهم وقد أقصاهم الله ولا تكرمهم وقد أهانهم الله» كل ذلك حرصاً على تطبيق مدلول هذه الآيات وخوفاً من عاقبة مناقضتها وحذراً من العدو مهما كانت الحاجة إليه داعية والثقة به موجودة لأن القرآن يهتدى للتى هى أقوم والله أعلم وأحكم .

(١) رواه ابو داود وانظر مجموعة التوحيد ص ٣٧٥ .

(٢) الآية ٨ التوبة .

(٣) الآية ٢ الممتحنة .

(٤) في استخدام الكافر إضافة إلى ما سبق دعم مادي ومعنوي للكفرة وتقوية لشوكتهم عموماً وخصوصاً في البلاد التي تعيش فيها أقلية مسلمة كالهند والفلبين وغيرها والتي يعيش فيها المسلمون عيشة تعيسة ويلاقون فيها - على أيدي الكفار - ألواناً من الاضطهاد والتشريد والقتل والتنكيل والإبادة الجماعية لا شيء إلا لأنهم مسلمون يقولون ربنا الله . وغالب هؤلاء الخدم والعمال هم من بلاد يضطهد فيها المسلمون يقيناً ومنذ سنين طويلة، وإذاً فاختيارنا للكافر عموماً ومن هذه البلاد خصوصاً وترشيحه للاستفادة منا فيه محاذير كثيرة منها :

أ (دعم إقتصادي لا محدود للكفار هناك في حربهم ضد المسلمين يشتركون به السلاح ويوجهونه إلى صدور المسلمين ويكسبون به التأييد العالمي لصالحهم وتظهر خطورة هذا الدعم وكبير أثره لو أجرينا إحصائية بعدد اليد العاملة والمستخدمة الوافدة من إحدى بلاد آسيا مثل كوريا أو الفلبين وعرفنا مقدار ما تحوله هذه الطائفة من العملات الصعبة إلى بلادها وكَم نسبة المسلمين من بين هؤلاء وكَم مقدار ما يخصهم من تلك الحوالات لظهر لنا الفرق الشاسع وتبين لنا الخطر الداهم.

ب (دعم معنوي للسكفار حيث يحتجون بتعاملنا (نحن المسلمين) معهم وهم على ما هم عليه من الكفر والعداوة لإخواننا المسلمين هناك يستدلون بموقفنا معهم على عدالة قضيتهم وخطأ المسلمين هناك في المطالبة بالاستقلال التام أو الشخصي على الأقل في العبادة والفكر والثقافة فيكون في هذا الموقف منا تأييد

للفظالم على ظلمه وإقرار لصاحب المنكر على منكره وخذلان
للمسلم صاحب الحق وتقوية للمبطل عليه وذلك لون من ألوان
الصد عن سبيل الله .

(ج) وقد يتعدى الأمر إلى أخطر من ذلك فيصبح تعاملنا مع الكفار
مثبطا لعزائم المسلمين هناك عن الجهاد ودافعا إلى موافقة الأنظمة
الكافرة على ما هي عليه من باطل والسير في ركابها أينما ولت
وجهها وربما يسبب فتنة ضعفاء الإيمان عن دينهم وارتدادهم على
أعقابهم حينما يروننا نحن المسلمين أهل البلاد المقدسة نتعاون مع
أعدائهم ونؤثرهم عليهم في كل شيء فيكون هذا الاستقدام فتنة
في الدين وشرّاً على المسلمين وقد قال تعالى «والفتنة أشد من
القتل»^(١) «والفتنة أكبر من القتل»^(٢) وعندئذ تتضاعف المصيبة وتشتد
البلية ويكبر الذنب ويعظم الخطر وسيعلم الذين ظلموا أى
منقلب ينقلبون.

ثالثا : خطر التأثير الفكرى

فمن مقاصد النهى عن موالاة الكفار والأمر بهجرهم ومقاطعتهم الحيلولة
دون تأثيرهم الفكرى على ضعفاء الإيمان من النساء والسفهاء ومن في
حكمهم لأن شأن غالب أهل الضلال والباطل الدعوة إلى ضلالهم وباطلهم
بكل وسيلة وكل مناسبة كما أخبر رب العزة والجلال عنهم في محكم تنزيله
بقوله «يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد
إيمانكم كافرين»^(٣) وقوله «وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا

(١) الآية رقم ١٩١ البقرة

(٢) الآية رقم ٢١٧ البقرة

(٣) الآية ١٠٠ آل عمران .

ولنحمل خطاياكم وماهم مجاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون»^(١) فهذا شأنهم ولا سيما أن الباطل يحقق شهوات ذوى النفوس المريضة والأهواء المنحرفة فهم يعملون على إضلال المسلمين تارة بالظعن في الإسلام والتشكيك في أصوله ومصادره وإثارة الشبهات حول كثير من أحكامه وأخرى بالادعاء أن الإسلام لا يتعارض مع العقائد والأديان الأخرى اختلافاً جوهرياً وأن دخول الإنسان في أي دين آخر واعتناقه لأي فكر أو مبدأ - حتى ولو كان مناقضاً له - لا يعتبر خروجاً من الإسلام أو ردة عنه كاعتناق المسيحية أو تبني الفكر الشيوعي أو البعثي مثلاً، وثالثة بتزيين الباطل بأسمائه أو مزياه أو الإغراء المادي أو المعنوي لمن فعله وتشويه الحق وادعاء أن الالتزام به تأخر ورجعية هذا أسلوبهم في كل زمن^(٢) ولا سيما في هذا الزمن الذي قامت فيه دولة الباطل واشتدت صولته وتكونت لأهله منظمات خفية وقوى دولية عالمية لها في المسلمين وبلادهم نوايا خبيثة تملؤها أحقاد تاريخية ومطامع سياسية واقتصادية وغيرها ولا يستطيعون تحقيق أهدافهم والوصول إلى مطامعهم إلا بواسطة التضليل الفكري الذي تفننوا في وسائله وأساليبه وكسبوا به ربحاً عظيماً وتحقق بواسطته الكثير من أهدافهم وأطماعهم حيث صنعوا الرجال على أعينهم واصطنعوا الكثير من المشاكل والمبررات التي استطاعوا بواسطتها التدخل في شؤون المسلمين وبلادهم وربما يكون الخدم والعمال من تلك الوسائل حيث يمارسون العديد من الأنشطة الهادفة إلى التضليل الفكري ومنها :

(١) الآية ١٢ العنكبوت .

(٢) نعم هذا هو أسلوب أعداء الإسلام في الصد عن دعوة الحق الذي سلكته قريش واليهود للقضاء على دعوة النبي ﷺ والحيلولة بينها وبين أسماع الناس وعقولهم وقد ورث المستشرقون هذا المنهج الخبيث فوضعوا على ضوء خطط الغزو الفكري الحديث الذي أصبح وسيلة للتصوير والتغريب والإلحاد كل داعية لواحد من هذه الأفكار يستند في دعوته إلى هذه التركة الخبيثة يأخذ منها الشبهات والأكاذيب والحيل التي اشتملت عليها كتب المستشرقين وموسوعاتهم ودراساتهم والتي أصبحت - مع الأسف - مرجعاً لكثير من المثقفين والباحثين من أبناء المسلمين .

أ (يوجد عدد ليس بالقليل من البوذيين يحمل الواحد معه صنمه (بوذا) ويؤدى له طقوس العبادة وشعائر الدين البوذي الفاسد الباطل فيعلن الشرك والكفر والدعوة العملية إلى الضلال داخل بيوت المسلمين وبين ظهرانيتهم وليس العجب من كافر حاقد أظهر ضلاله وقد حصلت له الفرصة - وربما يكون جاء من بلده من أجل ذلك - وإنما العجب من المسلم الذى يقر ذلك ويرضى به فلا تأخذه الغيرة على دينه وأولاده فيمنع هذا عن إظهار باطله ويدعوه إلى الإسلام ويبين له فضله ومزاياه ويقنعه ببطلان ما هو عليه من الكفر والضلال وفساده فى الدنيا والآخرة فإن أبى وأصر على كفره طرده واستبدله بمن هو خير منه ولكن من المضحك المبكى أن من المواطنين من يجعل من تهديد الخادم بكسر صنمه أو حرمانه مما يريد وسيلة لأن يجتهد الخادم فى عمله ويؤدى كل ما يؤمر به .

ب (كما أن من بين العمال النصارى من فلبينيين وغيرهم من يمارسون ألوانا من الأنشطة المضللة وذلك كتوزيع نسخ من الإنجيل وشئ من تعاليمه ووسائل الدعاية المختلفة له فقد قاموا بهذا النشاط الخبيث فى أكثر من مناسبة وأكثر من بلد وقد خصوا الشباب بالنصيب الأكبر منها يضعونها فى سياراتهم عند المدارس وغيرها.

ج (كما أن من هؤلاء الخدم والعمال من يوزعون صوراً لمناظر معينة من بلادهم ويهدونها إلى أصدقائهم من المواطنين كهدية تذكارية فى مناسبة الأعياد والأفراح وغيرها من المناسبات ومن هذا القليل صور للبشر من الرجال والنساء وهم عراة فى المسابح والنوادي الليلية وكذلك الأفلام الماجنة المشتملة على أبشع الممارسات الجنسية والفواحش العلنية وبشكل لا يخطر على بال كل ذلك بغية بذر الشر وغرس الفتنة ونشر

الفساد ومثل هذا العمل لا يتوقع أن يقوم به فرد أو أفراد من تلقاء أنفسهم أو أن يتم بطريقة عفوية بل لابد أن يكونوا مدعومين من جهات سرية حاقدة تخطط لهم وتدرهم على تنفيذه وتدعمهم ماديا ومعنويا .

(د) ولاننس ما للخدمات والمربيات من دور خطير في نشر العقائد الفاسدة وبث الأفكار المنحرفة وإشاعة الأخلاق الرذيلة والمفاهيم الخاطئة كيف لا وقد أصبحت الواحدة منهن في كثير من البيوت ولكثير من الأطفال بمثابة الأم والأخت الصديقة والأستاذة لما يحصل لها من التفرد المطلق والصحة الطويلة مع الأطفال ولما تحظى به من ثقة الوالدين المطلقة والالتكالية التامة عليها بهذا الخصوص وبذلك تتمكن من تركيز وغرس ما عندها أو ما تريد من العقائد والأفكار^(١) والمفاهيم والاتجاهات والقيم بعبارات مربية وألفاظ غريبة قد لا تدرك من أول وهلة أولا يفطن لها إلا بعد حين يوم تترجم هذه الأمور إلى سلوك عملي رهيب واتجاهات ظاهرة من أولئك الأطفال بين حين وآخر أو عند الكبر حينما يدخلون ميدان القيادة الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية كما حصل في مصر في القرن الماضي والذي قبله حينما كانت بعض الأسر الثرية تستقدم المربيات من بريطانيا وفرنسا وغيرهما وتولي المربية كافة شئون البيت خصوصا تربية الأطفال فخرج الأطفال بعد فترة يحملون جنسيات مصرية وأفكار وعقائد وأخلاق ومفاهيم انجليزية وفرنسية وكانوا يبدون من الولاء والتقدير والتعاطف للإنجليز والفرنسيين أكثر مما يبدون لوطنهم الأصلي الذي عاشوا في ربوعه وأمتهم المسلمة التي ينتسبون إليها ويحملون هويتها بل خدموا المستعمر عند دخوله

(١) كتبت مدرسة غبوره في إحدى الصحف اليومية ما خلاصته : أن إحدى الطالبات في السنة الأولى سألتها قائلة : كم فيه من الله ؟ فأجابتها المدرسة : ليس لنا إلا إله واحد هو الله تعالى . فردت الطالبة تقول : لكن خادمتنا تقول : إن فيه ثلاثة آله : الله، ومريم، وروح القدس .

فأصبحوا آلة له ينشر بواسطتهم أفكاره وثقافته ونظمه ومبادئه بواسطة أقلامهم السيالة وخطبهم الرنانة حتى مكثوا له في البلاد وخدموه وأكرموا وأذلوا الأمة وأهانوها من أجله وذلك يدل على عظيم أثر التربية في نفوس الأطفال وعلى خطورة التفريط فيها بالاعتماد فيها على الأعداء وأن ذلك أخطر على الأمة من الجيوش الجاراة التي تقتحم حدود البلاد وتوقع فيها الخراب والفساد لأن العدو الخارجي لا يلبث أن يهلك أو يطرد أما الداخلي الذي يعرف ويؤلف ويتكلم باللسان ويدعي النصح والإحسان فيصعب معرفة فسادته وانحرافه فضلاً عن توقيه وإبعاده فهل يريد عقلاء قومي من تربية أبنائهم على أيدي الخادومات وغيرهن من الأجنيات أن تصبح أذهان وعقول أطفالهم مزابل لكل عقيدة فاسدة وفكر ضال وسلوك منحرف كل حسب ما تلقاه عن مربيته وأستاذه التي طالما انفردت به وعاشته فعرفت من نفسيته ومناسبات التأثير عليه ووسائله ما استطاعت أن تستولي به على قلبه وتفكيره ربما أكثر من أثر المدرسة والمنهج والأستاذ والبيئة لأن اللطفولة وطول العشرة والعفوية في التلقى دوراً خطيراً في تركيز المفاهيم وتحديد الاتجاه كل حسب مشربه وقديماً قيل «العلم في الصغر كالنقش في الحجر» وقد أكد النبي ﷺ على خطورة التربية بقوله «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»^(١) أي أن الطفل ينشأ على عقيدة ودين من يريه فإن كان المربي يهودياً نشأ الطفل يهودياً وإن كان نصرانياً نشأ الطفل نصرانياً وهكذا إذا كان المربي مجوسياً فسيكون الطفل مجوسياً وإذا فماذا نقول عن أبناء المسلمين وقد تولت تربيتهم النصرانيات والمشركات وتغلى عنهم الآباء والأمهات لاشك أن الوضع خطير وأن النتيجة ستكون أخطر إن استمر الحال - لا سمح الله -

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

على ما هي عليه أو إزداد سوءاً لأن جيل الغد فقد تربية أهله وصار
يتربى على يد عدوه والعدو لا ينصح ولكن يضل ويفسد لا سيما وقد
تهيأت له الفرص وتوفرت له الأسباب.

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

رابعاً : خطر السائقين والخدم على المحارم والأعراض

يولى بعض الناس السائقين والخدم ثقة مطلقة ويتساهلون معهم إلى
حد التفريط واللامبالاة بالعواقب والنتائج فالسائق مثلاً وضع تحت إمرة
النساء الصغار منهن والكبار يذهب بهن حيث شئن إلى المدرسة والسوق
وزيارة الجيران وحضور المناسبات المختلفة يذهب بالجمع منهن والواحدة دون
محرم وكأنه ممن أذن الله له بالخلوة بالنساء وكذلك الطباخ فإنه يقضى جل
وقته أو كله في البيت حسب طبيعة عمله والتي تتطلب صلته غالباً بالنساء
في البيت نظراً للمشاركة في الاختصاص والحاجة إلى التوجيه وهنا تقع الخلوة
وتحصل الجرأة من كل طرف على الآخر فيطول الحديث ويكثر المزاح وقد قيل
في المثل (إذا كثرت المساس قل الإحساس) والخدمة جيئ بها شابة جميلة - والمرأة
فتنة في كل حال - وتركت وشأنها في السفر والتبرج في الملبس والتكسر
والثنى في المشية وقد تستعمل من الأصباغ ووسائل التجميل ما تصبح به
فتنة لكل مفتون وذلك هو ما اعتادته ونشأت عليه في بلادها وحسب طبيعة
عملها في تفقد وتنظيف سائر أجنحة البيت تحصل الخلوة بها من الرجال
وهي بذلك المظهر الفاتن لا سيما وأن بعض الناس يترخص بالنظر إليها
وكانها من سائر أمتعة البيت بحجة أنها كافرة لا حرمة لها ناسين أن الله
سبحانه حينما أمر الرجال والنساء بغض الأبصار وحفظ الفروج ونهى النساء
عن إبداء زينتهن المرئية من جمال الخلقة واللباس والزينة المسموعة من صوت
النساء ووسوسة الحلي إنما أراد سبحانه درء الفتنة عن العباد وسد سبيل

الفواحش وذرائع الفساد وهذا أمر يستوي فيه الكافر والمسلم لأن الدوافع والغرائز والنيات موجودة عند كل صنف من مسلم وكافر الذكور منهم والإناث ولذلك أمر الله بالغض من البصر أي عن كل من لا يحل النظر إليه وحفظ الفروج إطلاقاً أي عن كل من لا تحل مياضعته ونهى النساء عن إبداء الزينة بسائر أنواعها إلا لمن استثناهم في الآية من الآباء والبنين والأقارب المنصوص عليهم والنساء والأطفال ومن في حكمهم والأجنبي في هذا الباب يصدق على المسلم والكافر على حد سواء لأن تحرك الغريزة الجنسية يشبه الجنون الذى يفقد صاحبه الوعي وينسيه العواقب والنتائج ويجعله سبعا ضاريا وذلك شئ لا يختص به أحد دون أحد أو حال دون حال بل متى ما توفرت الاسباب وانتفت الموانع وتبيأت الفرص وقل الوزع فمن المتوقع أن تحصل الفاحشة ويقع المحذور إلا في النادر من الأحوال والنادر لا حكم له وأساس ذلك الخلوة بين الجنسين مع ما يصاحبها من التبرج والبعاد عن الأنظار ولذلك قص الله علينا من قصص الماضين قصة التى راودت فتاها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك كما قال تعالى «وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك»^(١) إلى قوله تعالى «قالت فذلكن الذى لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين»^(٢) فإن هذه المرأة رغم أنها امرأة عاقلة وشريفة وسيدة فى مجتمعها وزوجة سيد فى قومه فإنها رغم هذه الخصائص كلها لما انفردت بغلامها - وهو خادمها فى بيتها - افتتت به وسولت لها نفسها مراودته وزين لها الشيطان الباطل وأمتها من كل ما تكره مع التمكن مما تريد فتصنعت وغلقت الأبواب وعرضت نفسها عليه وهمت به واستعملت معه كل ما تملك من وسائل الإغراء والتهديد وكاد أن يحصل لها ما تريد لولا لطف الله ورحمته وعنايته بهذا الغلام - وهو يوسف نبي الله

(١) الآية ٢٣ يوسف .

(٢) الآية ٣٢ يوسف .

ابن يعقوب نبي الله ابن اسحاق نبي الله ابن إبراهيم الخليل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - فإن الله تعالى قد قضى بالعصمة لأنبياؤه ورسله من الوقوع في الفواحش والمنكرات «كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين»^(١) ومحل الشاهد من القصة أن هذه المرأة وهي من هي في قومها منزلة ومكانة وعقلا وحصانة وشرفا وسؤددا- لما خلعت بغير المحرم كادت أن تزل بها القدم لولا حفظ الله تعالى لنبیه وصيانتہ لساحته فدل على خطورة خلوة المرأة بغير محرمها وأن ذلك يفضي إلى فساد عرضها وزوال شرفها وذهاب كرامتها ويجر العار إليها وإلى كل من له صلة بها من الآباء والبنين وسائر الأقربين ويسبب لها الخزي في الدنيا والآخرة ولذلك نهى النبي ﷺ - وهو الرحيم بأمة الرؤف بهم- عن الخلوة بالنساء فقال : إياكم والدخول على النساء قيل يا رسول الله أفرأيت الحمى؟ قال: الحمى الموت^(٢) فنهى النبي ﷺ عن خلوة الأجانب بالنساء الأجنبيةات منهم لما يترتب على الخلوة من المفاصد في الدين والعرض والنسل والشرف والضرر الكبير والشر المستطير في الدنيا والآخرة فعندئذ سأله الصحابة رضوان الله عليهم عن خلوة الحمى - وهو قريب الزوج - حيث أن ذلك مما يتساهل به بعض الناس نظراً للقربة فقال النبي ﷺ الحمى الموت فشبهه بالموت لأن مصيبتة أعظم وفتنته أشد حيث لا يستنكر بعض الناس دخوله بيت قريبه فيحصل الأمن مع الخلوة وعندئذ يتهاى الجو للوقوع في الفاحشة وحصول المكروه حيث يحضرهما الشيطان فيغري بالفاحشة ويزين الباطل كما نبه النبي ﷺ على خطورة ذلك بقوله «ولا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان» فإذا كان الشيطان يحضر خلوة الرجل بالمرأة فلا ينتظر من ذلك إلا الفساد والفتنة لأن الله تعالى قال «إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون»^(٣) وقال سبحانه «يا بني آدم لا

(١) الآية ٢٤ يوسف..

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٣) الآية ١٦٩ البقرة .

يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما
سوءاتهما لأنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم»^(١) كما أن هؤلاء الذين مُكِّنُوا
من الخلوة بالنساء هم بشر قد فسدت فطرهم وماتت ضمائرهم وعُدمت
نوازع الخير فيهم - إلا ما شاء الله - لأنهم جاؤا من بلاد تحكم بالقوانين
الوضعية المفسدة للعقائد والأخلاق والفضائل والقيم حيث أنها تعطي الناس
الحرية المطلقة بالتمتع بكل لذة وتحقيق كل شهوة وإشباع كل غريزة حتى
الشاذة^(٢) دون حد أو قيد شريطة الرضا والاختيار ولذلك ظهرت الفاحشة في
مجتمعاتهم وانتشرت الرذيلة فيما بينهم حتى أصبحت شيئا مألوفاً عندهم
وجزءاً من حياة الكثيرين منهم ألفوها ونشأوا عليها حتى شب عليها الصغير
وشاب عليها الكبير^(٣) وإذا فُشخص نشأ في ذلك المجتمع وترعرع فيه كيف
يؤمن على أعراض المسلمات ويفوض إليه شأنهن ويعطى الثقة المطلقة في
ذلك وما الذي يمنعه من الانقضاض على فريسته وممارسة ما اعتاده إذا خلا
له الجو وسنحت له الفرصة وماذا يغنى الطرد أو الجزاء الرادع أو الندم إذا
هتك العرض وشاعت الفاحشة وظهر الخزي وليس يبعد أن يحصل ذلك
كله لمن لم يعتبر بمواعظ القرآن وضرب بسنة النبي ﷺ عرض الحائط فعصاه
جهاراً نهاراً بحجة أن الخادم أمين أو ليس في البيت سواه أو غير ذلك من
الأعذار والحجج التي هي أو هي من نسج العنكبوت «وما نعموا إلا أن
أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله
عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير»^(٤).

(١) الآية ٢٧ الاعراف . (٢) الآية ٧٤ التوبة .

(١) تنتشر في الولايات المتحدة مثلاً ظاهرة الشلوش إنتشاراً بالغاً فمن بين كل عشرة أطفال يعتدى على واحد منهم
كل يوم ويرى الاختصاصيون أن ظاهرة الاعتداء على الأطفال أخذت بالتزايد ففي كاليفورنيا وحدها ارتفع عدد
الضحايا عام ١٩٧٧ من ٢٢٨١ الى ٨٨٠٤ مع أن أكثر من ثلث الأطفال المعتدى عليهم لا يفرضون عليهم
لأحد وفي بحث على ٢٣٨ شاذ في مدينة نيويورك كان متوسط جرائم الشاذ الواحد الاعتداء على ٦٨ طفلاً عن
مجلة المجتمع عدد ٥٨٢ في ٢١/١٠/١٤٠٢هـ.

(٢) قد بلغ الغرب من الفساد الخلقي القمة في الانحلال والانهيار حتى بلغت نسبة الحبال من التلميذات في المدارس
الثانوية في إحدى المدن ٤٨٪ بالمئة حسب إحصاء قديم فكيف به الآن . عن مجلة المجتمع عدد ٥٨١ في
١٤/١٠/١٤٠٢هـ.

خامساً : الخطر على أمن الوطن والمواطنين

قد أشرنا في فقرة سابقة إلى لمحة عن أوضاع المجتمعات التي جاء منها هؤلاء الخدم حيث أن تلك المجتمعات تحكم بالقوانين الجاهلية الوضعية وهي بحد ذاتها جريمة كبرى لأن وضعها وتنفيذها منازعة لله في حكمه وظلم لعباده وإفساد في أرضه «أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون»^(١) وإذا كانت تلك المجتمعات تحكم بالجريمة فالجريمة لا تثمر إلا الجرائم والمشاكل وحال أهل تلك البلاد المحكومة بالقوانين الوضعية أصدق شاهد على ما تقول فلا أمن ولا عدل ولا حرمة لعرض أو مال أو فضيلة إذ لا يأمن الإنسان على نفسه^(٢) خصوصاً إذا كان ممن يتمتع بشئ يحسد عليه ويطمع فيه من مال أو جاه أو منصب أو نحو ذلك كما تكثر في تلك البلدان عصابات الإجرام وتنتشر فيها منظمات الإرهاب السرية والمعلنة والمتخصصة في أحدث فنون الإجرام وأخطر وسائل الفتك والانتقام والتي تضاهي أجهزة الدولة في التخطيط والتنفيذ وقد تغلب عليها وتمعجزها في بعض الأحيان وكان من نتائج ذلك كله أن بلغ معدل الجريمة رقماً خيالياً فاق عدد الدقائق من ساعات الليل والنهار حتى في أرق الدول تقدماً وحضارة مادية مثل أمريكا حيث تشير التقارير الأخيرة إلى أن نسبة الحوادث الإجرامية بلغت إلى معدل حادثتين في الدقيقة الواحدة.

وإذا كان هذا هو واقع تلك البلدان والمجتمعات فإن خطورة الفرد من رعاياها تكمن فيما يلي :

أ (لا يستبعد أن يكون أحد أولئك المستقدمين من محترفي الجريمة

(١) الآية ٥٠ المائدة

(٢) بدأت تجارة بيع النساء في عديد من المقاطعات الصينية حيث بدأ بيع أو خطف السيدات الصغيرات والفتيات وعرضهن للبيع على الفلاحين وقد تم خلال العام الماضي خطف ٧٥٠ امرأة ثلثهن لا يتجاوز عمرهن عشرين عاماً وهو الحد الأدنى لسن الزواج ويتلقى البوليس بين خمس أو ست شكايات في اليوم لحوادث خطف أو إحتفاء للنساء - عن مجلة المجتمع ٥٨٢ في ١٤٠٢/١٠/٢١ هـ.

المنتسبين إلى عصابة من عصابات الإجرام أو تنظيم من تنظيماتها السرية المنتشرة في كثير من الدول خاصة في السنوات الأخيرة حيث كثرت واشتهرت وأصبح أثرها وخطرها ملموساً ومعلوماً لدى الخاص والعام، كما أنه قد شاع في الآونة الأخيرة أن الدول التي اشتهرت بتصدير اليد العاملة وخصوصاً الدول الآسيوية الشرقية استغلت الحاجة إلى طاقاتها البشرية العاملة فأخذت تصدر المجرمين من ذوى السوابق السياسية وغيرها - الذين غصت بهم سجونها وأعجزوا أجهزة أمنها فكسبت بذلك من جهتين تخلصت من المجرمين من رعاياها واستفادت من ورائهم عوائد مالية هائلة وهنا يكمن الخطر بالنسبة لنا اذ نتوقع الجناية من كل شخص من هؤلاء بأية لحظة وأدنى مناسبة وإذا جرى المقدر ووقع المخدور فماذا تغني شهادة الخلو من السوابق بل والجزاء الرادع بالنسبة للضحية الذى وقعت عليه الجناية وحلت به المصيبة ولعل ما وقع من الحوادث المعلنة فقط من السطو على المؤسسات المالية وقتل الأبرياء فضلاً عن غيرها مما لم يكشف عنه النقاب يشهد لصدق ما نقول من خطورة الحال وتفاقم الوضع.

(ب) وربما يتظاهر الشخص من أولئك بالفقر والحاجة والسعى وراء المصلحة الشريفة أو يخذعنا بادعاء الاسلام لكي نأمنه ونعطف عليه وهو في الحقيقة مدفوع من جهة خارجية لتحقيق أغراضها من تجسس أو نشر أفكار منحرفة أو للتعرف على طبيعة البلد وحال أهلها ومعرفة نقاط الضعف فيهم ومواطن التأثير عليهم أو ليستغل عند الحاجة مع بني جنسه . كجالية أجنبية تتذرع بها الدول الكبرى أو الدولة التي يتمتعون بجنسيتها للتدخل في شؤون الدولة المضيفة إدارياً أو عسكرياً بحجة حماية تلك الجالية أو حماية حقوقها القانونية فليس ذلك بغريب ولا نتوقع من أعدائنا أقل من ذلك ولا سيما أننا نرى من مستوى

بعض هؤلاء الخدم والعمال العلمي والفكري وهيئاتهم الظاهرة وحركاتهم وسائر تصرفاتهم ما يؤكد صدق ما أشرنا إليه خصوصا أن منهم من يصرح بأنه عسكري متدرب قد أدى الخدمة الإجبارية أو سرح من الجيش وإذا كان هذا هو الشأن فقد علمنا التاريخ أن من وسائل المستعمرين التي استطاعوا بواسطتها التدخل في شؤون الدول الإسلامية والتغلب عليها في النهاية ما يلي :

(١) دفع بعض الأشخاص وتوصيتهم بالتقرب من الحكام والعامّة تحت ستار الهجرة أو الطب ومن ثم رسم خطط الغزو وإعطاء المعلومات الكافية للأسياد عن تلك البلاد وكسب المؤيدين أو غير المعارضين ممن في قلوبهم مرض وذلك كما في أخبار أول دخول الفرنسيين للجزائر وما حولها من شمال أفريقيا.

(٢) الزج بمجموعات هائلة من العمال تابعة لشركات تتولى تنفيذ مشاريع إحدى الدول الإسلامية وبواسطة الشركات والعمال ينتشر الفساد والضلال العقائدي والفكري وتتولى دولهم التي يعتبرون من رعاياها المطالبة بحقوقهم الخاصة والعامّة القانونية وغيرها وتستغلهم لنشر القلاقل والفوضى حال الأزمات وذلك مثل ما حدث في مصر خلال القرنين الماضيين حين دخلتها الشركات الأجنبية الإنجليزية والإيطالية حيث ظهرت نتيجة لذلك ظواهر خطيرة منها وجود ما سمي بالمحاکم المختلطة لأجل الحكم بغير ما أنزل الله - ولأول مرة - في حقوق أولئك العمال والرعايا بموجب قوانين وأنظمة دولهم التي جاءوا منها وظهرت المسارح والنوادي في كل مكان والتي ظاهرها أنها خاصة بالشركات وهي في الحقيقة مفتوحة لأجل إضلال وإفساد المواطنين ثم تطور الأمر

إلى تدخلات كثيرة إدارية وعسكرية في شئون مصر الداخلية ولعل ما جرى ويجرى الآن هو باقي حلقات تلك السلسلة المشؤمة والمؤامرة الخبيثة التي لم تقتصر على مصر بل تعدتها إلى العديد من دول العالم الإسلامي .

(ج) وقد يكون المستقدم من المستضعفين حقيقة أو من الناس العاديين الذين لا عهد لهم بالجريمة ولم تخطر لهم على بال ولكن بعد ما يستقر هنا فترة من الزمن يرى من تصرفات الناس الخاطئة وخصوصاً المقربين منه وتفريطهم في أموالهم وأعراضهم ما يغريه بالجريمة ويطمعه بالغنيمة مع السلامة ومن أمثلة تلك التصرفات أن يرى سيده يحمل النقود الكثيرة وحده بكيس أو أكياس يجئي بها إلى البنك أو يذهب بها إليه ونحو ذلك ومن أمثلة ذلك أن ينفرد السائق بالسيارة بسيده أو غيرها من النساء والبنات والواحدة منهن متبرجة متلبسة بكل ذرائع الفتنة وأسبابها من سفور وتعطر وخضوع بالقول وإظهار للملبوس من الحلي وهو وحده اليوم من أخطر أسباب الفتنة وأقوى دواعيها حيث أصبحت النساء تملك وتلبس من الحلي ما تبلغ قيمته مئات الآلاف من الجنيهات ومع ذلك تكشف عنه وتظهره لتغري به سباع البشر الضارية فتجرّبه البلاء والفتنة على نفسها وذويها (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون)^(١) .

(١) الآية ١٢٩ الأنعام .

الخاتمة

تبين لنا من خلال ما سبق أن وجود السائقين والخدم ونحوهم في بيوت المسلمين بالشكل والحال المعروفة لدى كثير من الناس فيه أضرار كثيرة عظيمة وخطيرة من وجوه مختلفة منها أن وجود الكافر في بيوت المسلمين وبين ظهرانيهم فيه إيذاء للكفرة وإيثار لهم دون المسلمين في المصالح ومعلوم ما يترتب على ذلك وينتج عنه من دعم وتأيد مادي ومعنوي لقوى كافرة حاكمة على المسلمين في هذه البلاد وغيرها . إضافة إلى ما تجر إليه خلطتهم وعشرتهم من مودتهم والثقة بهم والميل إليهم ولو ببعض الشيء وإقرارهم على ما هم عليه من الدين الباطل والخلق المنحرف دون إنكار أو اعتراض يذكر وذلك كله من أنواع الموالاة لهم المحرمة شرعاً والمتوعد فاعلها بالوعيد الشديد والتهديد الأكيد فإن ذلك من الركون إليهم وقد قال تعالى « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » وقال تعالى « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » وقال تعالى « قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم وما تعبدون من دون الله كفرننا بكم وبداء بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله » قال الشيخ سعد بن عتيق رحمه الله : فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله تعالى قد أوجب ذلك وأكد إيجابه وحرم موالاتهم وشدد فيها حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أيين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده . إلى أن قال فإذا كانت موالاة الكافرين من أفعال المنافقين فهذا كاف في تحريمها والنهي عنها . أ.هـ . قلت : وقد طفحت كتب أئمة الدعوة ورسائلهم وفتاواهم بمثل هذا الكلام وصدقوا - رحمهم الله تعالى - فإن هذا هو مقتضى ملة إبراهيم ودين محمد ﷺ وعلى إخوانهما من الأنبياء والمرسلين وسلم تسليماً كثيراً وهي الإيمان بالله وما

جاء عن الله ومحبة من يؤمن بالله محبة إيمانية تترتب عليها آثارها الطيبة القولية والعملية والبراءة من الكفر والكافرين وبغضهم وهجرهم وإعلان عداوتهم والبراءة منهم من أجل كفرهم وقد قال تعالى : « لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لم كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتولى فإن الله هو الغني الحميد » وكان أحد السلف الصالح رحمهم الله أجمعين إذا رأى نصرانياً أغمض عينيه . قال لا أستطيع أن أملأ عيني ممن سب إلهه ومعبوده - سبحانه - أقبح السب . يشير الى نسبتهم لله الوالد والولد والزوجة كما حكاه الله تعالى عنهم وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال في النصارى أهينوهم ولا تظلموهم فإنهم سبوا الله تعالى سبة ما سبه إياها أحد من البشر وقال أحد عقلاء الملوك إن جهاد هؤلاء واجب شرعاً وعقلاً فإنهم عار على بني آدم مفسدون للعقول والشرائع .

وإذا كان هذا كلام بعض السلف في نصارى زمانهم فكيف بنصارى زماننا الذين لم يبق معهم من النصرانية إلا الاسم حيث أنهم أصبحوا أذنباً لليهود ومطايأ لهم بل كيف رأى السلف فيمن هو أقل من النصارى مرتبة من الوثنيين والشيوعيين الذين ينكرون الأديان ويتبرأون من الشرائع وتقوم سياساتهم وتصرفاتهم على الزندقة والإلحاد والخرافات والأوهام .

ومنها : أن جلب الكفار إلى بلاد المسلمين وجزيرة العرب على وجه الخصوص - دون ضرورة تقتضيها مصلحة عامة المسلمين - جريمة كبرى ومعصية عظيمة للرسول الأعظم ﷺ حيث نهى النبي ﷺ عن إدخال المشركين إلى الجزيرة العربية وأمر بإخراجهم منها ففي قوله ﷺ « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » وقوله « لا يجتمع في جزيرة العرب دينان » ولذلك أخرج عمر رضي الله عنه اليهود من خيبر تنفيذاً لوصية النبي ﷺ ووفاءً بعهده وكانوا يعملون في مصالح المسلمين في مزارع خيبر فأخرجهم عمر رغم حاجة المسلمين إليهم وإنا نخدر من يعصى النبي ﷺ في مسألة الخدم أو غيرها مما صح به الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : « كل أمتي

يدخل الجنة إلا من أئى . قيل يارسول الله ومن يأئى ؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أئى .

ومنها : أن تولي الخادماآ تربفة أطفال المسلمين خطر يهدد الأطفال في العقفة والفكر والسلوك وحتف في اللغة وما تعارف عليه المجتمع من الأعراف الطفة والخصال الكرفمة والشفم الحمفة من الرجولة والشهامة والأدب والفاء . وإضافة إلى ذلك فإن تولف الخادمة الأأففة كئفراً من شئون الطفل وتألف أمه وأبوه عنه يفقده حنان الأبوة وعاطفة البنوه وهذه الأمور كلها تهدد ناشئة المسلمين بالإلحاد والفساد والعقوق والقطفعة والدناءة وذهاب المروءة والفرة لأن الولد فنشأ غالباً على ففن وخلق وسأفة مربفه ومعلمه ، وخال المرففاآ والخادماآ معروفة لاف كل كفس ففن منصف ولقد أأسن من قال :

فان كنت لا ففرف ففلك مصفة وإن كنت ففرف فالمصفة أعظم وقال آفر : والمرء ففلفه الفلفس الصالآ .

ومنها أن ففكن الأأففى من كافر أو مسلم من الاختلاط بمأار المسلمين والخلوة بفن مع علم رب الأسرة وقفرفه على الاستفناء عنه فففر فلاة وفلالة على إفساد الفطرة وموت الضمفر وانأراف المزاج وذهاب الفرة على المأار والشرف لأن الخلطة والخلوة مع ففاب المأرم وغفلته أو فهاونه فففى إلى هفك الأعراض وففنفس المأرام وإقرار ذلك مع العلم بما ففرفب فففه لا فففر من عاقل لأنه ففائة ومشابهة لأبلد المفاوانات من الخنازفر ونأوها والففوف ملعون مأرم من ففول الجنة والفاء بالله فعالى من فلك الال وذلك المصفر .

ومنها : أن ففوف الأأففى ففصوفاً الكافر ومأفول الال فف مأفمنا الإسلامف فهدد أمن ذلك المأفم من ففمف فواأفه لما فففف عن ففوف عنصر فرفب فف ذلك المأفم من ففقد المأال وفعاظم الففن وكثرة المأرام وشفوع الفساد والانأراف الأمر الذى ففوف إلى انتشار الفوضى وزعزعة الأمن

والاستقرار من كل جهة . فضرر ذلك يلحق بخاصة المسلمين وعامتهم
ويتأثر به الراعي والمرعي على حد سواء .

تلك بعض سلبيات وجود الخدم والسائقين ونحوهم في البيوت وهي
كثيرة وعظيمة وذات أبعاد خطيرة وعميقة وعواقب وخيمة ونتائجها
العكسية والأولية مشتهرة لدى الخاص والعام وملموسة لدى كل ذي عقل
وبصيرة وربما يكون ما خفي وما قد يجد مستقبلاً أعظم وأخطر - ما دامت
الحال هكذا - وكل ما سبق ذكره والإشارة إليه من السلبيات لا تقابل
ولا توازن بها الحاجة الدافعة على الاستقدام ولا المصلحة المرجوة والمتنظرة من
الاستخدام بل والمقارنة بينهما من العبث والاشتغال بما لا طائل تحته ، وإذا
فواجب كل عاقل منصف غيور على دينه ومحارمه مشفق على أبنائه وذويه
ناصح للمسلمين رعاة ورعية أن يتقي الله تعالى في مسؤولياته - يوم يقف
بين يديه - فلا يستقدم الأجانب وخصوصاً الكفار منهم مهما كانت
الدوافع والمغريات وأن ينصح المسلمين عن ذلك ببيان سلبيات ذلك وأضراره
وسوء عواقبه في الدارين فإن الدين النصيحة ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس
منهم، ولنختم هذه النصيحة - المباركة - بكلمة لسماحة الشيخ عبد العزيز
بن عبد الله بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة
والإرشاد نشرت في مجلة الجندي المسلم حيث قال - جزاه الله خيراً - ما
نصه : وليعلم كل مسلم يستقدم مربية نصرانية أو يهودية أو بوذية أو
غيرهن من الكافرات من بريطانيا أو الحبشة أو الفلبين أنه قد ارتكب حوباً
كبيراً وذنباً يجب عليه أن يسارع إلى التوبة إلى الله سبحانه من هذا العمل
المنكر وذلك بإلغاء عقودهن والندم على ما مضى منه والإقلاع عنه والعزم على
أن لا يعود إليه لأن ذلك العمل من أعظم المحرمات التي يترتب عليها مفسد
كبرى وأمور خطيره على مستقبل الإسلام والمسلمين حيث فيه مساعدة
لنصارى وغيرهم على تحقيق مآربهم وتنفيذ مخططاتهم في بلاد المسلمين وفيه
إخراج المولود من الإسلام إلى النصرانية وغيرها من ملل الكفر وفيه تعرض

لعذاب الله وعقابه في ارتكاب ما يغضبه نعوذ بالله من ذلك. ثم ليعلم كل مسلم أن عليه واجباً عظيماً نحو أبنائه وبناته في تعليمهم وتأديبهم وتنشئتهم على الإسلام ومحبة شعائره وفرائضه فيقوم كل منهم بما يستطيع لتحقيق ذلك والاستعانة بالمسلمين الصالحين والمربين المخلصين، والمعلمات والمربيات الصالحات حتى تبرأ ذمتهم في الدنيا والآخرة وليكون أبنائهم من أعمالهم الصالحة التي يستمر وصولها إليهم بعد موتهم كما قال ﷺ (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) وقد بين ﷺ عظيم ثواب من يدعو إلى الله ويهتدي على يديه رجل أو رجال من عباد الله ففى الحديث الصحيح الذي جاء فيه قوله ﷺ (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) فإذا كان هذا ثواب من يدعو إلى الله فكيف يكون عقاب من يدعو إلى الكفر والضلال ... وما أعظم ذنب من جر ابنه أو ابنته إلى النار . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، نسأل الله أن يبصر المسلمين فيما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم ليبتعدوا عما يوجب غضب الله ويجلب مقته وعقابه، وأن يري الجميع الحق حقاً ويرزقهم اتباعه والباطل باطلاً ويرزقهم اجتنابه ويوفق الجميع لما يرضيه إنه جواد كريم^(١) قلنا: هذا ما رأيت التنبيه عليه والتذكير به والتحذير من مخاطره والدلالة على السبيل الأقوم فيه وقد بذلت فيه غاية الجهد وخالص النصيحة فما كان فيه من حق وصواب فهو من توفيق الله تعالى وما كان من خطأ أو تقصير فمن فلتات اللسان ونقصان البشر وأسأل الله للجميع التوفيق للصواب والسداد في القول والعمل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

(١) مجلة الجندي المسلم العدد ٢٦ / ١٤٠٢